

دور المسرح في تنمية الوعي البيئي

لدى طلبة المدارس الريفية

م. د. نجم الدين عبد الله سليم^(*)

المقدمة

ما قيل وما كتب كثير عن دور المسرح في مجالات التربية والتعليم، ولعل إنشاء دوائر للنشاط المدرسي ومنذ سنوات طويلة وهي تمارس فعاليتها المختلفة في مراكز المدن والمحافظات وأبرزها المسرح، دليل واضح على اهتمام رجال التربية والتعليم في استثمار المسرح أداة تعليمية داخل الصف وخارجه. إلا أن المدارس الريفية بقيت في منأى عن نشاطه لأسباب عديدة ربما يجيء في مقدمتها عدم توفر الاختصاصات المطلوبة أو ندرتها في الريف، ورغبة المختصين من خريجي معاهد وكليات الفنون للخدمة في المدينة، التي توفر لهم سبلاً أفضل في العمل والانتشار. وربما اعتقد بعضهم إن المسرح نشاط مديني في الغالب، إذ لا يتوفر في القرى مستلزمات نجاح العمل المسرحي، كما قد يكون للعادات والتقاليد الاجتماعية دور بارز، في عرقلة مساعيهم لتسخير المسرح في خدمة أهداف وبرامج التنمية الريفية، التي تعد قاعدة هامة لتنمية المجتمع بشكل عام، فالريف كان وما يزال مخزوناً كبيراً للإمكانيات البشرية والمادية.

(*) قسم التعليم الزراعي - كلية الزراعة والغابات / جامعة الموصل.

ولا شك أن الدور الذي يمكن أن يؤديه الناشئة الريفيون من طلبة المدارس الريفية في عمليات البناء والتغيير كبير، لما يتميزون به من حماسة ومرونة عقلية وسرعة كبيرة في تقبل الأفكار والممارسات الجديدة. فالمرحلة التي يعيشونها هي مرحلة الخلق والإبداع، إذ أن ما سيجهل المرء خلالها يتأصل ليصبح جزءاً من حياته. ويتوقف دور ناشئة اليوم -رجال الغد - على طبيعة البرامج والسياسات والإستراتيجيات المعدة لهم فبقدر ما يكون إعدادهم إعداداً جيداً بقدر ما يكون دورهم مؤثراً.

وتتزايد أهمية البرامج التعليمية الإرشادية الموجهة للطلبة في الريف لصلتهم القوية بالعمل الإنتاجي الزراعي وإيجابية اتجاهاتهم نحو العمل والحياة الريفية. وقد حظيت قضايا التنمية باهتمام التربويين فالاتجاهات الحديثة في تصميم المناهج ترى وجوب الأخذ بالمدخل البيئي عند وضع المناهج الدراسية ذات العلاقة، إذ يعد التربويون هذا المدخل من أكثر المداخل ملائمة لأوضاع البلاد العربية وأهداف التنمية، فهو يربط الطالب بالبيئة والمجتمع بما يعزز عملية التفاعل بينهما، كما يساعد ارتباط المنهج ببيئة الطالب على زيادة دافعيته للتعلم وتنمية ميوله العلمية وقدرته على التعلم الذاتي والرغبة في الاكتشاف والاستطلاع في بيئته⁽¹⁾.

ولقد أدت أساليب التكتيف الزراعي التي اتبعت لزيادة الإنتاج إلى إلحاق أضرار جانبية في البيئة تمثلت في تعرية التربة الناجمة عن المكننة المفرطة والقاصرة والملوحة والتغدق جراء الممارسات الخاطئة في الري فضلاً عن التلوث

(1) السامرائي، هاشم وآخرون، المناهج، أسسها، تطورها، نظرياتها، دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد،

البيئي. وقد أضافت الحرب والحصار على العراق اعباء أخرى على البيئة شملت مختلف مجالات الحياة، ولتصيب السكان بمختلف شرائحهم وعمارهم ومواطنيهم سكانها بآثارها الخطيرة. ولما كانت معظم المشكلات البيئية تنطلق أساساً من السلوك البشري، وانها لا يمكن ان تحل باعتماد أساليب تقنية وإجراءات مختبرية فقط كان لابد من استنباط شروط جديدة لتربية بيئية تنمي ملكات وأنماط سلوكية وقيماً ومعارف وقدرات من شأنها ان تضمن تكيفاً أفضل للإنسان في بيئته⁽²⁾ فالإنسان هو غاية التنمية ووسيلتها، يعيش على البيئة، يؤثر فيها وتؤثر فيه مثلما يؤثر بمعطيات ونتائج العلاقات بين البيئة والتنمية، متفاعلاً معها بصورة يصعب فصلها. من هذا المنطلق تزايد الاهتمام بشؤون البيئة وفي مقدمتها التلوث البيئي من قبل مختلف القطاعات الرسمية والشعبية ومنها القطاع التربوي، الذي انعكست اهتماماته تلك على المناهج الدراسية المعدة للمراحل المختلفة ومن بينها المرحلة المتوسطة، إلا أن الموضوعات التي تناولتها المناهج - على أهميتها - ذات طابع مديني في الغالب. ان طبيعة المشكلات البيئية الزراعية الناشئة عن النشاطات الإنسانية في الريف والتي تختلف عن تلك الموجودة في المدينة تحتم علينا التفكير بطرق ووسائل واليات تربط طلبة المدارس لريفية ببيئتهم الزراعية وتعزيز ما تتناوله مناهجهم الدراسية بموضوعات تستجيب لحاجاتهم واهتماماتهم بعضها يستجد، فتقف المناهج عاجزة ربما عن المواكبة واللاحاق، فتبرز أهمية النشاطات اللاصفية التي إذا ما أحسن توجيه محتواها، ستعمل على تلافي بعض أوجه النقص المعرفي والوجداني والمهاري لدى الناشئة الريفيين في ضوء الأهداف العامة للمؤسسات التربوية. ويأتي في مقدمة تلك الأنشطة المسرح الريفية الذي يمكن ان

(2) المراياتي، كامل. مفهوم البيئة في منظور علم الاجتماع، مجلة دراسات اجتماعية، العدد الأول بيت

يلعب دورا مهما في تنمية الوعي والحس لدى الطلبة وخلق توجه ايجابي تجاه حماية البيئة الزراعية وصونها من مخاطر التلوث والتدهور.

المسرح والمدارس الريفية

استخدم المسرح في خدمة أغراض ومجالات مختلفة للتنمية الريفية في دول عديدة في آسيا وأفريقيا وأمريكا. ويتحدث كثيرون عن فاعلية وكفاءة المسرح التعليمية في المدرسة ودوره في التربية الحديثة كونه نشاطا تربويا مكملًا للكتاب والأنشطة المدرسية. فقد استخدم المسرح جنوب داكوتا لتقديم برامج وقائية صحية لطلبة المدارس الريفية⁽³⁾. كما استخدم لإثراء الدراسات الإنسانية في المدارس الريفية جنوب كارولينا، وذلك لتشجيع الطلبة على اكتشاف ثقافتهم المحلية وكواسطة لربط المدرسة بالحياة في المجتمع المحلي⁽⁴⁾ وقد تبين ل(القاعود وكرومي)⁽⁵⁾، تفوق طلبة الخامس الأساسي في الأردن الذين تعلموا بطريقة التمثيل على اقرانهم الذين تعلموا بالطريقة التقليدية في مجالي التحصيل والاتجاه نحو البيئة. وكشفت إحدى الدراسات العراقية النادرة عن تفوق طريقة المسرح الريفية على طريقتي المناقشة الجماعية والمحاضرة الإرشادية في التغيير السلوكي المعرفي للنشء الريفي (طلبة المدارس الريفية المتوسطة) في مجال تلوث البيئة.

(3) Johnson*Barbara, B(1987) sexual Abuse prevention* Arural Interdiscriptary Effort* child welfare vol 66 No2 P 165

(4) Barone*Thomas (1991) Assessment theater*staging an Eposition Educational leader ship vol 48 NO5 P57

(5) القاعود, إبراهيم وكرومي عوني- اثر طريقة التمثيل في تحصيل طلاب الخامس واتجاهاتهم نحو البيئة في مبحث التربية الاجتماعية - مجلة أبحاث البرموك سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة البرموك

الزراعية باعتماد المتوسطات المعدلة كمؤشر لهذا الغرض. إلا ان الفروق بين تلك المتوسطات المعدلة لم تظهر ذات دلالة معنوية. واستنتج الباحث ان الطريقة التعليمية الإرشادية لا تعمل في فراغ وان فعاليتها تترسخ في ضوء المحتوى الذي تحمله وتنقله للناشئة الريفيين. فكلما كان المحتوى جديدا يلبي حاجة المتلقي ويثير اهتمامه، ويجيب عن تساؤلاته المهمة في كل ما يتعلّق بشؤون حياته كلما كان للطريقة التعليمية الإرشادية كفاءة بالتوصيل⁽⁶⁾.

الخواص الاتصالية للمسرح

تشير الدراسات إلى ان الدراما تعمل أداة على تصعيد الرغبة والدافعية في التعلم، وتوجه الاهتمام نحو المحتوى التعليمي، وتؤثر في السلوك المعرفي، إلا ان ذلك يتوقف على حسن استخدام القائمين عليها ومعرفتهم بها وماذا يمكن ان تقدم لهم، على طريق تحقيق أهدافهم التعليمية الإرشادية، وفي ضوء المحتوى، وماذا يمكن للناشئة من طلبة المدارس الريفية ان يحصلوا عليه من خلالها من معارف وخبرات. وتحقق الدراما الأهداف التعليمية الايجابية من خلال المتعة التي توفرها للناشئة. ويستطيع المسرح (أبو الفنون) ان يسهم في اغناء المعارف وتكوين العمليات المعرفية، فالمعرفة المكتسبة من خلال الفن لها خصوصيتها مقارنة مع المعارف المكتسبة بمساعدة العلوم، فالعلوم تعمل بالمفاهيم والمدركات التي تضمن الجوهر بصيغة الأنماط. فالفن يسمح باغناء المعارف ومن خلال ذلك يكشف ويؤثر في جوانب الواقع بخاصية الوعي الإنساني إذ لا يستطيع العلم اكتشافه وهذا كما

(6) الاتروشي، نجم الدين عبدا لله سليم (2001) اثر بعض طرائق الإرشاد الزراعي الجماعية في التغيير السلوكي المعرفي للناشئة الريفي - أطروحة دكتوراه غير منشورة كلية الزراعة جامعة الموصل ص111.

يقول بريازو صفة بالاتصال الفني ⁽⁷⁾ ومن خواص المسرح الاتصالية تحفيزه للتغذية الراجعة Back-Feed في اتجاهين متقابلين في ان واحد من الممثل للجمهور ومن الجمهور للممثل من خلال العرض المسرحي إذ يؤدي إلى سلسلة من ردود الأفعال التي قد تؤدي فيها المنبهات والاستجابات إلى ذلك الحد الذي يفضي إلى الغرض الملهم وهو ما ندعوه بالتفاعل الاجتماعي عن طريق المخاطبة المباشرة وبالإفادة من المنظومة البصرية - السمعية، مما يجعل الأشياء حية متفاعلة، وعلى ذلك فالمسرحية تضيف الصبغة الحقيقية على الخبرات والتجارب التي تعرضها، فيتم إدراكها وفهمها عن طريق تنبيهات عناصر العرض الحسية عند المخاطبة المباشرة، فالمسرح يتعامل مع معظم الحواس وفيه تستطيع ان تسمع وترى وتفهم بل أيضا تتذوق وتشم الجو تقريبا وهناك ما يشير إلى ان استيعاب الفرد للمعلومات يزداد 35% عند استخدام الصورة والصوت وان قدرته على الاحتفاظ بها تزداد بنسبة 55% ⁽⁸⁾. والناشئ إذا ما رأى شيئا جديدا فانه يعمل على تقليده وهي وسيلة في تثبيت الشيء الجديد في مخيلته، وعندما يسترجعه فانه يتخيله، وللتخيل أهمية في النمو العقلي للناشئة لأنهم يستطيعون عن طريقه ان يتخيلوا أمامهم ما يوصف لهم نظريا. ويمكن ان يكسبوا مهارات جديدة عن طريق الملاحظة بل يمكنهم نقل هذه المهارات في مواقف جديدة، ذلك ما أثبتته أبحاث باندورا وكاي 1971، فالتعليم كما يراه باندورا يتم من خلال المحاكاة Sumulation مثل مشاهدة الآخرين ووجود القدوة والنموذج Model وتسمى نظريته بالتعلم عن طريق النماذج المتاحة، فالنموذج يؤثر فيما نفعله وكذلك فيما ننتبه إليه وفي طريقة إدراكنا له وأفضل النماذج تكون عادة من الجنس نفسه ويؤثر نوع السلوك الناتج عن النموذج

(7) سعيد أبو طالب محمد (1990) علم النفس الفني - مطابع التعليم العالي، الموصل ص 205

(8) كوك، فيليب (1991) ما هو المسرح؟ مجلة أفاق العدد 1 جامعة الزرقاء الأردن ص 107

في نوع المحاكاة التي يمارسها المقلد⁽⁹⁾ والناشئة الذين تخطوا الحادية عشرة وبدأت أذواقهم في النضوج يزداد إقبالهم على المسرح ويشاهدون المسرحيات التي تناسب الكبار ويرتاحون إليها ولا يميلون للتقليد والرمزية لأنهم يفتقرون للتجربة اللازمة لتفسيرها⁽¹⁰⁾ ويمكن توظيف المسرح لإفهام المحتوى التعليمي ذلك ان التمثيل يعتمد التفكير والعاطفة والاندماج والممارسة والعقل لذلك تتجلى أهميته في إيصال المعارف والعلم وإثارة الحواس لفهمها⁽¹¹⁾.

عناصر العمل المسرحي الموجه للنشء الريفي

ان العنصر الأساسي في المسرحية الموجهة للناشئين من طلبة المدارس الريفية هو النص الذي ينبغي ان يشتمل على البناء الدرامي المتمثلة بالفكرة والحوار والحبكة والشخصيات والجو العام. ومن واجب الكاتب تجنب التعقيد والمبالغة وتشابك الأحداث الأمر الذي قد يؤدي إلى فقدان الناشئة لقدرتهم على المتابعة والتذكر والفهم والاستيعاب والتركيز⁽¹²⁾ فالفكرة يجب ان تكون واضحة ذات بعد تعليمي إرشادي أخلاقي ومصادر الأفكار والممارسات الزراعية الحديثة التي يعدها الكاتب ويضعها في قالب اجتماعي في ضوء الأهداف العامة والسلوكية

(9) عزيز داوود حنا والعبدي، ناظم هاشم (1990) علم النفس الشخصية، مطابع التعليم العالي الموصل ص35

(10) وارد وينفورد (1966) مسرح الأطفال ترجمة محمد الجوهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ص118

(11) كونيدي، سالم (1989) المسرح المدرسي، مطبعة نجم الجديدة، المغرب ص12

(12) الربيعي، هدى هاشم (1989) برنامج تعليمي في توظيف الدراما في المواد الدراسية للمرحلة الثانوية - أطروحة دكتوراه غير منشورة كلية الفنون، جامعة بغداد ص24

مع مراعاة أحكام الموازنة في النص وكذلك العرض بين الفعل الدرامي والمادة التعليمية بحيث لا يطغى احدهما على الآخر ومن الممكن ان تكون المسرحية على درجة من القوة حتى لو استخدمت ابسط المستلزمات مع تمثيل طبيعي وملابس عادية يومية شريطة ان يكون الموضوع لافتا للانتباه. فالمسرحية التي لا تجذب الجمهور ولا تحمله على متابعة ما يحدث وما يقال في العرض هي مسرحية فاشلة ولا تحقق الأهداف التعليمية المرجوة منها، لان الانتباه والإدراك عمليتان متلازمتان فالانتباه يهيئ الفرد للإدراك والمرء لا ينتبه إلى جميع المنبهات المحيطة به بل يختار الموضوعات ويركز اهتمامه فيها ويتجاهل ما عداها أي ان عملية الانتباه تتضمن الاختيار والتركيز.

وتعتمد المسرحية التي تقدم للناشئة طلبة المدارس الريفية أساسا على جهود الممثلين - هواة كانوا أم محترفين - شريطة ان يكونوا مؤمنين بعملهم مخلصين في أدائهم، واعين لمضامين العمل وأهدافه، ومطلعين على عادات وتقاليد السكان الريفيين. وعلى المخرج ان يختار الممثلين المناسبين صوتا وجسدا وتعبيرا وتنظيم الحركة والتشكيلات المناسبة متجنباً الخطوط المستقيمة ووضع الأثاث وسط المسرح كما يقوم بالتوجيه والإشراف على توفير التقنيات المسرحية (إضاءة، صوت، ديكور بسيط، اكسسوارات، موسيقى ومؤثرات - مكياج عند الضرورة الأزياء) وبأقل كلفة ممكنة.

ان واحدة من أوجه القصور التي تلازم المسرح الريفي المقدم لطلبة المدارس الريفية يتمثل في صعوبة العرض داخل القاعات الدراسية لصغر مساحتها مما يعيق حركة الممثلين ولقصر المسافة بين الممثلين والصف الأول من المشاهدين فضلا عن ان نظام ترتيب المقاعد الدراسية ووضع الجلوس فيها قد

يشكل عائقاً آخرًا لمشاهدة جيدة. وغالبًا ما يكون في القاعة الدراسية باب واحد مما يعيق دخول وخروج الممثلين بالسرعة والدقة المطلوبة فضلًا عن تعذر استخدام بعض التقنيات المسرحية في الصف، مما يقلل من فاعلية العرض عليه فإن من المناسب انتخاب ركن محدد في ساحة المدرسة في الهواء الطلق أو قاعة كبيرة إن وجدت مع توفير متطلبات التغلب أو الحد من ظاهرة التشويش المحتملة من خارج مكان العرض.

المسرح وحماية البيئة الزراعية من التلوث

إلى زمن قريب ساد اعتقاد أن الريف بعيد عن مشاكل التلوث البيئي باعتبار أن التلوث ناتج التوسع الصناعي والتقني في المدن المزدهمة خاصة فكانت النظرة إلى الريف كمحطة راحة واستجمام إلا أنه ومع مرور الزمن تكشفت حقائق وجود مصادر خطيرة للتلوث تنبع من داخل الريف نفسه وبالأخص عندما يمارس السكان نشاطهم الزراعي الرئيسي. إن مصادر تلوث البيئة الزراعية عديدة ومتنوعة بعضها من خارج تقسيماتها الجغرافية. إلا أنه يمكن تصنيف مصادر تلوث البيئة الزراعية من الداخل تحت أبواب رئيسية ثلاث هي (مخلفات الإنسان والحيوان والنبات والمصانع، الأسمدة، المبيدات الكيماوية)⁽¹³⁾.

ويكفي أن نشير إلى أن هناك (37.000) إصابة بالسرطان سنويًا يعود سببها إلى استخدام المبيدات الكيماوية في الدول النامية كما ينتشر التسمم بالمبيدات الزراعية بين الأطفال خاصة جراء خزن المبيدات الزراعية في المنازل وعدم إتباع تعليمات الخزن وتعزو منظمة الصحة العالمية سبب كوارث المبيدات في

(13) الطنوبي، محمد محمد عمر (1998) مرجع في الإرشاد الزراعي دار النهضة العربية للطباعة والنشر ص511.

الدول النامية إلى الجهل ونقص المعارف وقلة الوعي البيئي وعدم الانتباه وعدم وضوح التعليمات على العبوات وعدم فهم لغة تلك التعليمات⁽¹⁴⁾. فإذا ما وضعنا ظاهرة الأمية وانخفاض المستويات التعليمية لدى الفلاحين والمرأة الريفية نصب أعيننا تبرز أهمية الدور الذي يمكن ان يؤديه طلبة المدارس الريفية كمعابر معرفية مساعدة لذويهم بما يسهم في الحد من مخاطر التلوث البيئي. ومن خلال التجربة العملية التي قمنا بها في الأعوام 1996, 1997, 1999 وعبر الممارسة الميدانية لجامعة الموصل قدمنا من خلالها مسرحيات ريفية في قرى وأرياف الموصل، لاحظنا ان النشء الريفي والشباب كانوا يقبلون بشغف واهتمام لمشاهدة تلك المسرحيات ولم يكن الفلاحون الكبار ولا المرأة الريفية من بين ذلك الجمهور مما عزز لدينا الإيمان بأهمية الدور الذي يلعبه المسرح في تنمية الوعي البيئي لدى الناشئة من طلبة المدارس الريفية بما يعمق إحساسهم بالمسؤولية إزاء بيئتهم الزراعية ونقل المعارف التي يكتسبونها إلى أهاليهم. فالمسرح أداة تعليم وترفيه وإذا ما أحسن استخدامها تستطيع ان تقدم خدمات تثقيفية كبيرة للمجتمع الريفي بأسره⁽¹⁵⁾. وقد اقر المؤتمر الوزاري العربي الأول الذي انعقد في تونس 1987 مجموعة مبادئ احدها تعزيز التربية البيئية بثتى مستوياتها في التعليم النظامي (المدرسي) وغير النظامي والعمل على تقوية برامج الوعي البيئي لفئات المجتمع كافة⁽¹⁶⁾. عليه من المفيد قيام تعاون وتنسيق بين مديريات النشاط المدرسي

(14) WHO (1990) public Health impact of pesticides used in Agriculture, Geneva P10.

(15) سليم، نجم الدين عبدالله (2001) المسرح الريفي في نينوى نشأته وتطوره. الندوة العلمية الخامسة لمركز دراسات الموصل - جامعة الموصل نيسان.

(16) توفيق، محسن عبد الحميد (1993). الإدارة البيئية في الوطن العربي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ص213 .

والمؤسسات الرسمية والشعبية المعنية بشؤون التنمية الريفية وفي مقدمتها جهاز الإرشاد الزراعي الذي يوجه طرقه وبرامجه التعليمية الإرشادية لخدمة السكان الريفيين بمختلف شرائحهم. إذ تحتم الضرورة ان يقوم الإرشاد الزراعي بالإشراف على المادة التعليمية أي محتوى المسرحيات كونه الجهاز الأقرب إلى واقع الريف وعلى تماس مباشر مع المشكلات الزراعية المختلفة بتكليف كتاب المسرح بتأليف نصوص ملائمة بضوء المستجدات والحاجة إلى موضوعات زراعية وبيئية معينة ويتولى الإرشاد إجازتها وطبعها فيما تتولى مديريات النشاط المدرسي توزيعها على المدارس الريفية، وتقدم تحت إشرافها من خلال فرقها المسرحية المركزية أو بتشجيع الهواة في المدارس الريفية على تقديمها تحت إشراف المعلمين أو المدرسين ذوي العلاقة من الموهوبين أو ذوي الرغبة والاستعدادات لتقديم تلك المسرحيات في مدارسهم الريفية.

الخاتمة

كلما كان جمهور المسرح من الناشئة كانت ردود أفعاله واستجابته أكثر تحرراً وأكثر سرعة. من هنا تتجلى أهمية استخدام المسرح كطريقة تعليم إرشادية للنشء الريفي من طلبة المدارس الريفية وتزداد أهميته في ظل غياب أو محدودية فرص الترفيه البريء في القرية وغياب أو محدودية نشاط المؤسسات الاجتماعية التي ترعى الناشئة في أوقات فراغهم وتوفر لهم الجو المناسب لاستثمار طاقاتهم. كما يشكل استخدام المسرح اغناء المعارفهم وتعميقا لوعيهم في مختلف النواحي التي تخص مجتمعهم المحلي. ولا يتوقف اثر المسرح عند حدود تنمية الوعي البيئي لدى طلبة المدارس الريفية فحسب بل يتعداه إلى أفراد أسرهم وبذلك يتم ربط المدرسة بالمجتمع.

Abstract

The Role of Theater in Developing Inviromental Awarness of Rural Schools □ Pupils

Najim Elddin A- Saleem (*)

Youngsters' reactions and responses to the theater are more freely and quickly. So it is important to use the theater as teaching method for youngsters. This importance will be increased according to the absence or limitation of social institutions activities in the villages which takes care of youngsters, and provides suitable environment to explore their energies. Theater increases the knowledge of the pupils of rural schools. Similarly it deepens the awareness in many fields. As a result they could serve their families and bridge the school with the society.

(*) Dept of Agriculture and Forestry - College of Agric & Forstry Mosul Univ. Iraq.